الفصل الثامن

مرض أبي بكر الصديق (رضي الله عنه):

عن ابن شهاب أن أبا بكر والحارث بن كلدة[1] كانا يأكلان من خزيرة أهديت لأبي بكر، فقال الحارث لأبي بكر: ارفع يدك يا خليفة رسول الله، والله إن فيها سمًّا لسنة، وأنا وأنت نموت في يوم واحد، فرفع يده ولم يزالا عليلين حتى ماتا في يوم واحد عند انقضاء السنة[2] قال ابن سعد عن عائشة (رضي الله عنها) أنها قالت: (كان بدء مرض أبي بكر أنه اغتسل يوم الاثنين لسبع خلون من جمادى الآخرة، وكان يومًا باردًا فحُمَّ خمسة عشر يومًا، لا يخرج إلى صلاة، وتوفي ليلة الثلاثاء لثمانٍ بقين من جمادى الآخرة، سنة ثلاث عشرة للهجرة، وعمره ثلاثٌ وستون عامًا)[3]

قال أبو بكر عندما كان يحتضر: (ما آسى على شيء إلا ثلاثٍ فعلتها ووددت أني تركتها، وثلاث تركتها ووددت أني فعلتها، وثلاث وددت أني سألت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عنها؛ فأما الثلاث التي فعلتها ووددت أني تركتها:

١ - وددت لو أني لم أكن فتشت بيت فاطمة (رضي الله عنها).

٢ - وددت لو أني لم أكن أحرقت الفجاءة، وأطلقته نجيًّا، أو قتلته صريحًا.

٣ - وددت لو أني يوم سقيفة بني ساعدة قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين، فكان أميرًا وكنت وزيرًا.

والثلاث التي تركتها ووددت أني فعلتها:

١ - وددت أني يوم أتيت بالأشعث بن قيس أسيرًا، ضربت عنقه؛ فإنه قد خيل لي أنه لا يرى شرًّا إلا أعانه.

---

(١) ثقفي من الطائف، طبيب عربي من الحكماء، أدرك الجاهلية، أخذ الطب عن أهل فارس.

(٢) ابن سعد في الطبقات، ج ٣ ص ١٩٨

(٣) ابن سعد، ج ٣ ص ٢٠٢

٢ - وددت أني كنت قد قذفت المشرق لعمر بن الخطاب، فكنت قد بسطت يميني وشمالي في سبيل الله.

٣ - وددت أني يوم جهزت جيش الردة، ورجعت أقمت مكاني في ذي القصة، فإن سلم المسلمون سلموا، وإن كان غير ذلك كنت صدر اللقاء أو مددًا.

والثلاث التي وددت أني سألت رسول الله (ﷺ) عنها:

١ - وددت لو أني سألته لمن هذا الأمر؟ فلا ينازع الأمر أهله.

٢ - وددت أني سألته عن ميراث العمة وبنت الأخ، فإن بنفسي منها حاجة.

٣ - وددت أني سألته هل للأنصار في هذا الأمر نصيب، فنعطيهم إياه.[١]

استخلاف أبي بكر الصديق لعمر بن الخطاب (رضي الله عنه):

وورد أنه لما ثقل المرض على أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) دعا عبد الرحمن بن عوف، وقال له: (أخبرني عن عمر بن الخطاب، قال: أنت أعلم به مني. قال أبو بكر: وإن كنت كذلك. قال عبد الرحمن: هو والله أفضل من رأيك فيه. ثم دعا عثمان بن عفان، وقال له: أخبرني عن عمر بن الخطاب. فقال كما قال عبد الرحمن، فقال أبو بكر: وإنْ. فقال عثمان: (اللّٰهُمَّ علمي به أن سريرته خير من علانيته، وأن ليس فينا مثله) ثم شاور سعيد بن زيد، وأسيد بن الحضير، وغيرهم من المهاجرين والأنصار، فقال أسيد: (اللّٰهُمَّ أعلمه الخير بعدك يرضى للرضى، ويسخط للسخط، الذي يسر خير من الذي يعلن، ولن يلي هذا الأمر أحد أقوى عليه منه. ودخل عليه بعض الصحابة، فقال: (ما أنت قائل لربك إذا سألك عن استخلافك عمر علينا، وقد ترى غلظته؟ قال أبو بكر(رضي الله عنه): أبالله تخوفني؟ أقول: اللّٰهُمَّ إني استخلفت عليهم خير أهلك. أبلغ عني ما قلت من وراءك، ثم دعا عثمان، فقال له: أكتب العهد فكتب.

دخل عبد الرحمن بن عوف على أبي بكر في مرضه، وسأله: كيف أصبحت يا خليفة رسول الله (ﷺ)؟ قال: أصبحت موليًا، وقد زودتم علَى ما بي عندما رأيتموني استعملت رجلًا منكم، فكلكم قد أصبح وارمَ أنفه، وكلٌّ يطلبها لنفسه، فقال عبد الرحمن: والله ما أعلم صاحبك إلا صالحًا مصلحًا، فلا تأس على الدنيا)[٢]

---

(١) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ١ ص ٢٦٧

(٢) اليعقوبي، ج ٢ ص ١٣٦

عندما اشتد المرض على أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)، جمع كبار الصحابة واستشارهم في استخلافه لعمر بن الخطاب، منهم: عثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله، وعبد الرحمن بن عوف، فقالوا: خيرًا ما تفعل. فدعا عثمان، وأملى عليه:

بسم الله الرحمن الرحيم

(هذا ما عهد به أبو بكر الصديق خليفة محمد (صلى الله عليه وسلم) عند آخر عهده بالدنيا خارجًا منها، وأول عهده بالآخرة داخلًا فيها، حيث يؤمن فيها الكافر ويوقن فيها الفاجر، ويصدق الكاذب، إنني استعملت عليكم عمر بن الخطاب ولم آل لكم خيرًا، فإن برَّ وعدَلَ فذلك ظني وعلمي فيه، وإن جار وبدّل فلا علم لي بالغيب، والخير أردت، ولكل امرئ ما اكتسب. وقرأ قول الله تعالى: "وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون"، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته)[1]

وأمر بالكتاب، فختمه، فبايع الناسُ، ورضوا به، ثم دعا أبو بكر الصديق عمر بن الخطاب خاليًا فأوصاه بما تيسر، ثم رفع أبو بكر يديه إلى السماء، وقال: (اللّٰهُمَّ إني لم أرد بذلك إلا صلاحهم، وخفت عليهم الفتنة فعملت فيهم بما أنت أعلم به، واجتهدت لهم رأيًا، فوليت عليهم خيرهم وأقواهم عليهم وأحرصهم على ما أرشدهم، وقد حضرني من أمرك ما حضر، فاخلفني فيهم؛ فهم عبادُك، ونواصيهم بيدك، أصلح اللّٰهُمَّ ولاتهم واجعلهم من خلفائك الراشدين، وأصلح لهم رعيته)[2]

ولما ثقل المرض على أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) أشرف على الناس من كوة، فقال: (أيها الناس، إني قد عهدت عهدًا، أفترضونه؟ فقال الناس: رضينا يا خليفة رسول الله (صلى الله عليه وسلم). فقام سيدنا علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) وقال: (لا نرضى إلا أن يكون عمر بن الخطاب، فكان عمر)[3]

وتمت قراءة العهد على الناس، فأطلَّ أبو بكر عليهم، وقال لهم:

(أترضون من أستخلف عليكم، فإني ما استخلفت عليكم ذا قرابة، وإني قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب فاسمعوا له، وأطيعوا. فقالوا: سمعنا وأطعنا. ثم قال لعمر بن الخطاب: (إني قد استخلفتك على أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يا عمر، إن لله حقًّا بالليل لا يقبله في النهار،

---

(١) تاريخ ابن خلدون، مجلد ٢ ص ٨٦ سورة الشعراء، الآية ٢٢٧

(٢) ابن سعد في الطبقات، ج ٢ ص ٢٠٠ ابن حيان في الثقات، ج ٢ ص ١٩٢

(٣) ابن أبي شيبة، ص ٣٠٢٠

وحقًّا في النهار لا يقبله في الليل، وإنه لا يقبل نافلة حتى تؤدَّى الفريضة... ألم تر يا عمر إنما نزلت آية الرخاء مع آية الشدة، وآية الشدة مع آية الرخاء؛ ليكون المؤمن راغبًا وراهبًا لا يرغب رغبة يتمنى فيها على الله ما ليس له، ولا يرهب رهبة يلقي فيها بيديه، ألم تر يا عمر أن الله (ﷻ) إنما ذكر أهل النار بأسوأ أعمالهم، فإذا ذكرتها، قلت إني لأرجو الله أن لا أكون منهم، وإنما ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم؛ لأنه تجاوز لهم عما كان من سوء.. فإن حفظت وصيتي، فلا يكون غائب أحب إليك من حاضر الموت، ولست بمعجزه).

وقال البعض: أفرس الناس ثلاثة: (أبو بكر لأنه استخلف عمر بن الخطاب، وصاحبة موسى حين قالت لأبيها استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين، والعزيز حين تفرس بيوسف - عليه السلام - وقال لامرأته أكرمي مثواه)[1]

وفاة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه):

أوصى أبو بكر أثناء مرضه أن تغسّله زوجته (أسماء بنت عميس، وابنه عبد الرحمن) وأن يكفن في ثوبيْه، وقال: (الحي أحوج إلى الجديد من الميت، إنما هو للمهنة والصديد). وهذا القول لأنه كان قد طلب ثوبًا ثالثًا جديدًا"[2]

قالت عائشة (رضي الله عنها): لما ثقل المرض على أبي بكر، تمثلت هذا البيت من الشعر:

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يومًا وضاق بها الصدر

فكشف أبو بكر عن وجهه، وقال لها:

﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾[3] انظروا ثوبي هذين، فاغسلوهما وكفنوني فيهما، فإن الحي أحوجُ إلى الجديد من الميت)[4]

وقال: في أي يوم توفي رسول الله (صلى الله عليه وسلم)؟ قالت: يوم الاثنين. قال: أرجو

---

(١) ابن أبي شيبة، ٢٠٥٨ الطبراني في الكبير، ج ٩ ص ١٦٧ الحاكم، ص ٣٣٢٠

(٢) ابن الأثير، ج ٢ ص ٢٨٨

(٣) ق، الآية ١٩

(٤) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٧٤

فيما بيني وبين الليل فتوفي ليلة الثلاثاء، ودفن قبل أن يصبح)[١] وأخرج عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: إن أبا بكر لما حضرته الوفاة، قال: أي يوم هذا؟ قالوا: يوم الاثنين. قال: فإن مت من ليلتي فلا تنتظروا بي إلى الغد، فإن أحب الأيام والليالي إلي أقربها من رسول الله ﷺ[٢] وعندما وصل خبر وفاة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) إلى أبيه - أبي قحافة - قال: أمر جلل، والذي قبله أجل منه) يعني وفاة النبي (ﷺ)، ثم سأل: من قام بالأمر؟ قالوا: عمر بن الخطاب. قال: هو صاحبه، وأهل له)[٣]

توفي الخليفة أبو بكر الصديق عام ١٣ / هـ لثمانِ ليالٍ بقين من جمادى الآخرة، فكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيام، وعمره ثلاثة وستون عامًا[٤] وقد غسّلته - حسب وصيته - زوجته أسماء بنت عميس، وابنه عبد الرحمن، وكفن في أثوابه، وصلى عليه خليفته عمر بن الخطاب، ودفن ليلًا في حجرة عائشة (رضي الله عنها) بجوار قبر النبي(ﷺ)[٥]

ودخل قبره ابنه عبد الرحمن، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة بن عبيد الله[٦]

(١) ابن سعد، ج ٣ ص ١٩٦

(٢) ابن سعد في الطبقات، ج ٣ ص ٢٠٧

(٣) ابن سعد في الطبقات، ج ٣ ص ٢١٠

(٤) ابن الأثير، ج ٢ ص ٢٨٨ الطبري، تاريخ ألأمم والملوك، ج ٣ ص ٢٠ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٧٩

(٥) عبد الوهاب النجار، ص ١٠٢

(٦) أحمد، ج ٤ ص ٩٧ مسلم، ص ٢٣٥٢